يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا

وكقوله واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كما انزلناه من السما المراد قلة بقا زهرة الدنيا كقلة بقا الخضر فاما ان يراد تشبيه
الافراد بالافراد غير منوط بعضها ببعض ومصيرة شيا واحدا فلا وكذلك لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما
خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الامر عليهم بما يكابد من طفيت ناره بعد ايقادها في ظلمة الليل
وكذلك من اخذته السما في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق فان قلت الذي كنت تقدره في المفرق من التشبيه
من حذف المضاف وهو قولك او كمثل ذوي صيب هل تقدر مثله في المركب قلت لولا طلب الراجع في قوله يجعلون اصابعهم في اذانهم
ما يرجع اليه لكنت مستغنيا عن تقديره لاني اراعي الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام فلا علي اولي حرف التشبيه مفرد يتاتى
التشبيه به ام لم يله الا ترى الى قوله انما مثل الحيوة الدنيا الاية كيف ولي الما الكاف وليس الغرض تشبيه الدنيا بالما ولا بمفرد
آخر يتمحل لتقديره ومما هو بين في هذا قول لبيد وما الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع
لم يشبه الناس بالديار وانما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم بحلول اهل الديار فيها ووشك نهوضهم
عنها وتركها خلا خاوية فان قلت اي التمثيلين ابلغ قلت الثاني لانه ادل على فرط الحيرة وشدة الامر وفظاعته
ولذلك اخروهم يتدرجون في نحو هذا من الاهون الى الاغلظ فان قلت لم عطف احد التمثيلين على الاخر بحرف الشك قلت
او في اصلها لتساوي شيئين فصاعدا في الشك ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي في غير الشك وذلك قولك جالس الحسن
او ابن سيرين تريد انهما سيان في استصواب ان تجالس ومنه قوله تعالى ولا تطع منهم اثما او كفورا اي الاثم والكفور متساويان
في وجوب عصيانهما فكذلك قوله او كصيب معناه ان كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتي هاتين القصتين وان
القصتين سوا في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبايتهما مثلتها فانت مصيب وان مثلتها بهما جميعا فكذلك
والصيب المطر الذي يصوب اي ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب ايضا قال الشماخ واسحم دان صادق الرعد صيب
وتنكير صيب لانه اريد نوع من المطر شديد هايل كما نكرت النار في التمثيل الاول وقرئ كصايب والصيب ابلغ
والسما هذه المظلة وعن الحسن رحمه الله انها موج مكفوف فان قلت قوله من السما ما الفايدة في ذكره
والصيب لا يكون الا من السما قلت الفايدة فيه انه جا بالسما معرفة فنفى ان يتصوب من سما اي من افق واحد من بين سائر
الافاق لان كل افق من افاقها سما كما ان كل طبقة من الطباق سما في قوله واوحى في كل سما امرها والدليل عليه قوله
ومن بعد ارض بيننا وسماء والمعنى انه غمام مطبق آخذ بافاق السما وكما جا بصيب وفيه مبالغات من جهة
التركيب والبنا والتنكير امد ذلك بان جعله مطبقا وفيه ان السحاب من السما ينحدر ومنها ياخذ
ماءه لا كزعم من يزعم انه ياخذه من البحر ويؤيده قوله تعالى وينزل من السما من جبال فيها من برد فان قلت
بم ارتفع ظلمات قلت بالظرف على الاتفاق لاعتماده على موصوف والرعد الصوت الذي يسمع من السحاب كان اجرام
السحاب تضطرب وتنتفض اذا حدتها الريح فتصوت عند ذلك من الارتعاد والبرق الذي يلمع من
السحاب من برق الشي بريقا اذا لمع فان قلت قد جعل الصيب مكانا للظلمات فلا يخلو من ان يراد به السحاب او
المطر فايهما اريد فما ظلماته قلت اما ظلمات السحاب فاذا كان اسحم مطبقا فظلمتا سحمته وتطبيقه
مضمومة اليهما ظلمة الليل واما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه وانسجامه بتتابع القطر وظلمة اظلال غمامه
مع ظلمة الليل فان قلت كيف يكون المطر مكانا للبرق والرعد وانما مكانهما السحاب قلت اذا كان في اعلاه
ومصبه وملتبسا في الجملة به فهما فيه الا تراك تقول فلان في البلد وما هو منه الا في حيز يشغله جرمه
فان قلت هلا جمع الرعد والبرق اخذا بالابلغ كقول البحتري يا عارضا متلفعا ببروده
يختال بين بروقه ورعوده

وكما يقال ظلمات فان قلت فيه وجهان احدهما ان يراد العينان ولكنهما لما كانا مصدرين في الاصل يقال رعدت السما
رعدا وبرقت برقا روعي حكم اصلهما بان ترك جمعهما وان اريد معنى الجمع والثاني ان يراد الحدثان كانه قيل
وارعاد وابراق وانما جاءت هذه الاشيا منكرات لان المراد انواع منها كانه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق
خاطف وجاز رجوع الضمير في يجعلون الى اصحاب الصيب مع كونه محذوفا قايما مقامه الصيب كما قال او هم
قايلون لان المحذوف باق معناه وان سقط لفظه الا ترى الى حسان كيف عول على بقا معناه في قوله يسقون من
ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر يصفق لان المعنى ما بردى ولا محل لقوله يجعلون
لكونه مستانفا لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يوذن بالشدة والهول فكان قايلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل
يجعلون اصابعهم في اذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف ابصارهم فان قلت راس
الاصبع هو الذي يجعل في الاذن فهلا قيل اناملهم قلت هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاصر يحصرها كقوله
فاغسلوا وجوهكم وايديكم فاقطعوا ايديهما اراد البعض الذي هو الى المرفق والذي الى الرسغ وايضا في ذكر الاصابع
من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل فان قلت فالاصبع التي تسد بها الاذن اصبع خاصة فلم ذكر الاسم العام دون
الخاص قلت لان السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها اولى باداب القران الا ترى انهم قد استبشعوها فكنوا
عنها بالمسبحة والسباحة والمهللة والدعاءة فان قلت فهلا ذكر بعض هذه الكنايات قلت هي الفاظ مستحدثة
لم يتعارفها الناس في ذلك العهد وانما احدثوها بعد وقوله من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجل الصواعق
يجعلون اصابعهم في اذانهم كقولك سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار قالوا
تنقدح من السحاب اذا اصطكت اجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشي الا اتت عليه الا انها مع حدتها
سريعة الخمود يحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفيت ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته
فصعق اي مات اما بشدة الصوت او بالاحراق ومنه قوله تعالى وخر موسى صعقا وقرا الحسن من الصواقع
وليس بقلب للصواعق لان كلا البنايين سواء في التصرف واذا استويا كان كل واحد بنا على حياله الا تراك
تقول صقعه على راسه وصقع الديك وخطيب مصقع مجهر بخطبته ونظيره جبذ في جذب ليس بقلبه
لاستوائهما في التصرف وبنا هذا البنا اما ان يكون صفة لقصفة الرعد او للرعد والتا مبالغة كما في الراوية
او مصدرا كالكاذبة والعافية وقرا ابن ابي ليلى حذار الموت وانتصب على انه مفعول له كقوله واغفر عوراء
الكريم ادخاره والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض لا يصح معه احساس معاقب للحيوة واحاطة
الله تعالى بالكافرين مجاز والمعنى انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة وهذه الجملة
اعتراض لا محل لها والخطف الاخذ بسرعة وقرا مجاهد يخطف بكسر الطا والفتح افصح وعن ابن
مسعود يختطف وعن الحسن يخطف بفتح اليا والخا واصله يختطف وعنه يخطف بكسرهما
على اتباع اليا الخا وعن زيد بن علي يخطف من خطف وعن ابي يتخطف من قوله ويتخطف الناس من
حولهم كلما اضاء لهم استيناف ثالث كانه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته
وهذا تمثيل لشدة الامر على المنافقين بشدته على اصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل
بما ياتون وما يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف ان يخطف ابصارهم انتهزوا تلك الخفقة
فرصة فخطوا خطوات يسيرة فاذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة